كلية دجلة الجامعة
قسم ادارة الأعمال
Akram.salim@duc.edu.iq

إشكالية المنهج التحليلي - النظمي
The question of analytical-systematic approach

أكرم سالم حسن الجنابي
Akram Salim H. Al-Janabi

الخلاصـــة

يرتبط المنهج التحليلي النظمي بعملية إعادة توليف العناصر والنظم الفرعية المفكّكة للظواهر الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية والمشكلات او المعضلات من قبل الباحث في اطار منظور شامل يستوعب العمليات التفاعلية الجارية في صلب المنظومة الكليّة، وضمن الترابط العضوي والتأثير المتبادل مع السياق البيئي الظرفي لغرض تحقيق هدف او اهداف معيّنة وعلى وفق نسق متكيّف مع المتغيرات البيئية .

الكلمات المفتاحية: التحليل،التوليف،المنهج النظمي،النسق المتكيّف

Abstract

The systemic analytical approach is related to the process of re-synthesising the disjointed elements and sub-systems of social, economic and natural phenomena and problems or dilemmas by the researcher within the framework of a comprehensive perspective that accommodates the interactive processes taking place at the core of the total system, and within the organic interdependence and mutual influence with the circumstantial environmental context for the purpose of achieving a specific goal or goals and on According to an adaptive format with environmental variables

Keywords: analysis, synthesis, systems approach, adaptive layout

المقدمـــة

يقودنا المنهج التحليلي-النظمي بالضرورة الى المنظور التكاملي للظواهر الاجتماعية والطبيعية الذي يبحث تشابك العلاقات بين العناصر والمكونات و النظم الفرعية مع بعضها على وفق عمليات تفاعلية متناغمة وصولا الى تحقيق هدف او اهداف المنظومة ضمن سياقاتها البيئية الظرفية وهو ما نطلق عليه بالموقفية Contingency بمعنى تباين

المو اقف والمعطيات والتأثيرات المتبادلة لظاهرة او منظمة ما عبر مسارها الزمني .وبالتالي ينبغي فهم اية مشكلة ومعضلة تواجهها المنظمة انطلاقا وضمن سياقها الآني وإطارها الكلي المتر ابط عضويا مع إعادة توليف Synthesis مكونات الصندوق المفكك تحليليا باتجاه ابداعي منتج يتيح لإدارتها العليا التحكّم والسيطرة بتوجهاتها وضبط حر اكها ذاتيا والتكيّف مع التحديات البيئية عبر الاستجابة للمتغيرات التي تواجهها. وبكل تأكيد لن يتم ذلك الا بتعريف المشكلة جيدا وتشخيصها بدقة وجمع المعلومات والبيانات اللازمة وتقويم البدائل واختيار البديل الافضل منها،كل ذلك يمثل دورة حياة النظام وعلاقات مكوناته ومنظوماته الفرعية وعلاقاته بشكل تفصيلي بعضها مع البعض الآخر ومع البيئة المحيطة والتي لايمكن ادر اكها وفهمها ومن ثم معالجتها ووضع الحلول اللازمة لها الا بمنهجية "تحليلية-توليفية-نظميّة" و افية وإحاطة شاملة لمتطلبات الحل ومتابعة التنفيذ والتحكّم بمسار الاعمال.

المفهوم والاسس:

جاء في مختار الصحاح في معنى حلّل،حل العقدة فتحها فأنحلت، يقال يا عاقد اذكر حلا (الرازي1983 :150) . وجاء في قاموس وبستر، ان التحليل analysis هو تجزئة الكل الى اجزاء للكشف عن طبيعتها..الخ (Webster,1972:9). وجاء في قاموس اوكسفورد ان التحليل analytical هو استخدام الطريقة التحليلية . وان معنى كلمة يحلل يجعله اجزاء . وان يعمل تحليلا أي يجزء او يميز، او يعين العناصر لأي شيء مركب. كالمركب الكيميائي او الضوء او الصوت او المجموعة المنوعة او الحساب او الجملة او الحديث او العبارة او الكلمة او الفكرة او الشعور او الفعل او الطريقة..الخ . وان التحليل هو عكس التركيب synthesis الذي هو التصميم المضبوط للمكونات . فالتحليل هو حل أي شيء معقد الى عناصره البسيطة . كذلك فهو حل المسائل الرياضية من خلال اختصارها الى معادلات . ومنطقيا هو تعقب الاشياء نحو مصادرها،او استكشاف المباديء العامة التي تقع خلف الظواهر (Oxford,1970:61) .

والتحليلanalysis كلمة يونانية معناها فك كل مركب الى اجز ائه ويقابلها التركيب او التوليفsynthesis الذي يعني بناء الكل من جزئيات فرعية. الا انه لايمكن التفرقة بين هذين المقصدين على نحو حاسم لأن ما هو تركيب من وجهة نظر معينة هو تحليل من وجهة نظر اخرى (محمود، 1963: 115) وفي العصور الأخيرة مالت فلسفة القارة الاوربية الى ان تكون تركيبية أي توليفية، اما الفلسفة البريطانية فقد مالت الى ان تكون تحليلية . فتحليل التصورات لم يكن في نظر ديكارت سوى تمهيد لبناء نسق من المعرفة على اساس (الافكار الواضحة المتميزة) التي يحصل عليها بالتحليل . ومنذ بداية القرن العشرين اصبح ذلك الرأي مؤداه ان التحليل هو الفلسفة بأكملها او هو اهم جانب منها، او هو السمة المميزة لها، اصبح ذلك الرأي مسلما به على نطاق واسع في البلدان الناطقة بالانجليزية(محمود،1963 :115) .

التفكير التحليلي والمنهج :

والتفكير التحليلي يرتبط بالمنهج Method الذي يعني اصلا الطريق المؤدي الى الغرض المطلوب خلال المصاعب، ولكن المنهج لم يأخذ معناه الحالي كطائفة من القواعد العامة المصاغة من اجل الوصول الى الحقيقة في العلم الا ابتداء من عصر النهضة الاوربية، اذ ان فرنسيس بيكون صاغ قواعد المنهج التجريبي في كتابه (الاورغانون الجديد) ومن ثم حاول ديكارت اكتشاف المنهج المؤدي الى حسن سير العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم كما في كتابه (مقال في المنهج) ثم أتى اصحاب منطق بورورويال الذين اعتنوا بتحديد المنهج بكل وضوح .

وهنالك نوعان من المنهج احدهما للكشف عن الحقيقة ويسمى التحليل او منهج الحل، ويمكن ان يدعى ايضا منهج الاختراع،والآخر ،وهو الخاص بتعليمها للآخرين بعد ان نكون قد اكتشفناها، ويسمى بالتركيب او منهج التأليف او التوليف، ويمكن ان ندعوه ايضا بمنهج المذهب (بدوي،1977: 4) .

ولكننا نرى اهتماما وتركيزا على المنهج الرياضي الاستدلالي دون المنهج التجريبي و بالإمكان اضافة المنطق التجريبي لفرنسيس بيكون الى منطق بورورويال للقول ان المنهجين الاستدلالي والتجريبي قد تكونا في القرن السابع عشر،وبذا

تكونت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المستعمل اليوم ابتداء من ذلك التاريخ ومعناه الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بباقة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة (بدوي،1977)

لذا فأن التفكير التحليلي ينحى في توجهه للكشف واماطة اللثام عن الحقائق نحوا عقليا استدلاليا في المقام الأول،وحتى الجوانب التجريبية فيحققها عقليا من خلال المحاولة والخطأ.

الاتجاه العقلي ونظرية المعرفة :

العقلية اتجاه في نظرية المعرفة يعدّ العقل المصدر الوحيد للمعرفة الحقيقية، وعلى هذا فالعقلية والتجريبية على طرفي نقيض، وان ابرز ممثلي المذهب العقلي هو ديكارت الذي قاد تحت راية العقلية نضالا ذا طابع متقدم ايام سيطرة النظرة اللاهوتية الاقطاعية،فلقد رأى الفلاسفة العقليون في الرياضيات العلم النموذجي واعتبروها علما خالصا كما لو كان مستقلا عن التجربة . فيصرح ديكارت بأن الفيلسوف كالعالم الرياضي كلاهما يستطيع ادراك الحقيقة بقوة العقل وحسب . ان معطيات الحس في نظر الفلاسفة العقليين خادعة للانسان وان العقل وحده يستطيع الاحاطة بالوجود . والعقلية كالتجريبية نظرية وحيدة الطرف، ووحدة طرفها في تقليلها من دور التجربة الحسية وفصلها العقل عن هذه التجربة وتحويلها المفاهيم والتفكير الى اشياء مطلقة (الماجد، 1969: 80)

المنهج الاستدلالي :

الاستدلال هو البرهان الذي يبدأ من قضايا مسلّم بها، ويسير الى قضايا اخرى تنتج عنها بالضرورة دون التجاء الى التجربة، وهذا السير اما بواسطة القول او بواسطة الحساب (بدوي، 1977 :82) فعالم الرياضيات الذي يجري عمليات حسابية دون اجراء تجارب يقوم بعملية استدلال . ولا يقتصر استعماله على الرياضيات بل نجده في كل فرع من فروع العلم اضافة الى ممارسته في حياتنا العملية . فالنظام الاستدلالي او النظرية الاستدلالية تقوم على اساس الابتداء من عدد قليل من الموضوعات غير القابلة للتحديد، والقضايا غير القابلة للبرهنة لغرض تركيب وتوليف موضوعات جديدة موجودة منطقيا، بالعمليات المنطقية وحدها، ومن اجل استنتاج قضايا جديدة صادقة بالضرورة، وفقا لقواعد الحساب المنطقي وحدها على فرض ان الموضوعات الأولية والقضايا الاولية ليست متناقضة (بدوي،1977 : 84) والنظام الاستدلالي ليس مطلقا ضروري اليقين بل انه اصطلاحي وغير معين و انه غير اعتباطي يجري كما يهوى المرء بل يجب ان يلتزم بشرطي الكفاية والإحكام . أي الالتزام والاكتفاء بالقضايا الاولية أو المباديء مع عدم التناقض خلال التحليل.ومن صور الاستدلال،الاستدلال بلا غرض معين .والتحليل المحصل، و التركيب . والتحليل الباحث(بدوي، 1977: 118)

التجريبية والمعرفة :

والو اقع ان التجريبية Empiricism مأخوذة من كلمة يونانية تعني التجربة والخبرة، فهي مذهب فلسفي يعدّ التجربة الحسية المصدر الوحيد للمعارف كافة، ومن اهم الفلاسفة التجريبيين فرنسيس بيكون الذي يعد اول من ظهرت على يده الطريقة العلمية في البحث نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر،وبيكون اقترح بناء النتائج على اساس مجموعة كبيرة من الوقائع والملاحظات التي يمكن جمعها، ثم تطور هذا المنهج نتيجة لجهود و افكار نيوتن وغاليلو، فظهر المنهج العلمي او الطريقة العلمية التي تجمع بين الاسلوب الاستقرائي والاسلوب الاستنتاجي القياسي، من خلال الجمع بين الفكرالذي يمثله الاسلوب القياسي وبين اسلوب الملاحظة الذي يمثله الاسلوب الاستقرائي(عبيدات وآخرون،2020).

والأسلوب العلمي او الطريقة العلمية هي طريقة تجمع بين الفكر والملاحظة و بين القياس والاستقراء، ويمكن فهم

هذه الطريقة بأنها اسلوب في ملاحظة الحقائق بأستخدام اساليب القياس والتحليل، او اسلوب يستعمل مجموعة من الخطوات المنظمة التي حددها الفيلسوف جون ديويJohn Dewey في كتابه (كيف نفكر؟)، وقد عرض فان دالين هذه الخطوات بما يأتي(Dewey,1997) :

1. الشعور بالمشكلة
2. تحديد المشكلة
3. وضع فروض او حلول مؤقتة للمشكلة
4. استنباط نتائج الحلول المقترحة
5. اختبار الفرضيات

او كما حددها فان دالين van Dalen بالآتي (Dalen,1994) :

1. تحديد المشكلة
2. جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بها
3. وضع الفرضيات
4. اختبار صحة الفرضيات
5. الوصول الى نتائج وحلول للمشكلة .

وتذهب التجريبية الى التأكيد على ان الاشياء في العالم المادي هي الاساس الذي تقوم عليه تجاربنا، وعلى الرغم من صحة منطلق التجريبية المادي المحسوس فأن نقصها البارز يكمن في وحدة طرفها ونظرتها، وفي تقليلها من الدور الذي تلعبه النظرية والتجريد العلمي وعدم ادراكها بأن الاحساس والتفكير هما مرحلتان متر ابطتان لعملية واحدة هي عملية المعرفة (الماجد،1969: 23) وكان لوك يحترم منهج العلوم التجريبي احتراما كبيرا في مقابل الجمود النظري الذي اتسمت به الميتافيزيقيا، ومن ثم نراه يقترح احالة منهج العلوم الى نظرية عامة للمعرفة . استهلال العمل من المبدأ القائل انه لا يوجد في العقل شيء لم يكن موجودا من قبل في الحواس، بحيث لم يعد هناك مجال للبديهيات والافتراضات والمباديء التي لا يتطرق اليها الشك والحقائق المستندة الى السلطة، بل وللافكار القبلية . فالمعرفة ليست الا التجربة المنظمة . والعقل يتلقى انطباعات، والعقل يقارن ويحلل ويوحد ويربط وفي بعض الاحيان يبنى افكارا عامة، وعند لوك ان العلم ليس ادراك المباديء التي تفسر الاحداث ولكنه التنظيم الذكي لهذه الاحداث (لويس،1973 : 148) وقد اصبحت نظرياته بالغة التأثير في فرنسا حيث نشرها فولتير وساهمت في حركة التنوير Renaissanceالتي كانت بمثابة مقدمة للثورة الفرنسية .

العلة والمعلول– السببيةcausati :

ان السبب الذي يجعلنا نفكر في العالم تفكيرا علميا لا يكمن في كون العالم المادي عالما رياضيا بقدر ما يكمن في كون العقل الذي يقوم بعملية التفكير يفكر بطريقة رياضية فالعقل آلة منطقية تطبع الافكار العقلية تماما، فأيا كان ذلك الذي يدركه العقل و أيا كان ذلك الذي يقدمه العقل في نهاية الأمر الى نفسه فهو دائما منطقي وعلمي . العالم اذن فيه نظام، لا بفضله هو، ولكن لان الفكر الذي يعرف العالم يدخل التجربة بالقوة داخل اطاره . ان قانون الفكر هو (العلة والمعلول) ومن ثم فقانون الاشياء هو ايضا العلة والمعلول، فالعقل اذ يجعل العالم منطقيا، انما يدخل في حقيقة الأمر المعقولية في الاحساس، فالعقل اذن يعمل بواسطة عدد من القوالب والاطارات المعينة التي يصبها على التجربة فيجبرها بذلك على اتخاذ اشكال مناسبة، او في صورة اخرى فأنه يعمل بواسطة رو افع ترفع المعرفة (الادراكية) للاشياء الى المعرفة (التصورية) للعلاقات والتتابعات والقو انين، وهي ادوات العقل التي تغربل التجربة وتصقلها حتى تصبح علما . ومن ثم فنحن لا نعرف العالم كما هو في حقيقته ابدا بل اننا لانعرفه الا كما يبدو لنا بعد مروره من خلال معصرة تفكيرنا (لويس،1973: 174) .

الجدلية ومسألة السببية :

السببية **causation** صيغة من صيغ الترابط العام بين ظواهر العالم الموضوعي، وللموقف منها اهمية قصوى في تحديد العمق الفلسفي لهذا الاتجاه وذاك . وان الجدلية - الديالكتيكية تطرح مسألة السببية من خلال عدم وجود ظواهر في الطبيعة دون ان يكون لها اسباب،فكل ظاهرة طبيعية او اجتماعية مشترطة بسبب معين فتظهر كنتيجة له . ويوجد السبب والنتيجة في حالة تفاعل، أي في حالة تأثير متبادل . فالسبب يولد النتيجية، والنتيجة بدورها تؤثر على السبب، فالقاعدة الاقتصادية مثلا تولد ما يطابقها من بناء فوقي، بيد ان الأخير ليس نتيجة سلبية لسببه و انما يلعب دورا فعالا بالنسبة للقاعدة الاقتصادية فأما ان يسرعه واما ان يعرقله . ويغيّر السبب والنتيجة في عملية التفاعل مواضعهما، فما كان نتيجة في احدى الحلقات يمكن ان يصبح سببا في حلقة اخرى (الماجد، 1969: 66) .

لذلك يعتقد أي باحث ان لكل نتيجة سببا ولكل ظاهرة مجموعة من العوامل والاسباب ادت الى احداثها فاذا اردنا دراسة هذه الظواهر وفهمها فلابد من الرجوع الى عواملها واسبابها . وبذلك يبتعد الباحث العلمي عن التفسيرات الميتافيزيقية والعشوائية، ويربط الظواهر بأسبابها المباشرة، كما لا يؤمن بالصدفة ولا يعتمد عليها في تفسير الظواهر.

الاستنباط والاستقراء :

الاستقراء هو اسلوب المحاكمة الفكرية الذي يؤدي استعماله الى الانتقال من معرفة الوقائع المنفردة الى التعميمات . اما الاستنباط فهو اسلوب المحاكمة الفكرية من العام الى الخاص، من التعميمات الى الاستنتاجات المنفردة . ويعلق الفلاسفة التجريبيون امثال فرنسيس بيكون وغيره اهمية استثنائية على الطريقة الاستقرائية مخضعين لها الاستنباط، في حين يفعل الفلاسفة العقليون امثال ديكارت وسبينوزا عكس ذلك تماما، وذلك بأن يضعوا الاستنباط في المقام الاول.

والاستقراء والاستنباط من وجهة النظر الميتافيزيقية طريقتان متعارضتان تنقض احداهما الاخرى . أما من وجهة النظر الجدلية-الديالكتيكية فهما شكلان من اشكال البحث ولايستقل احدهما عن الآخر ولا ينعزل عنه، فكل استنباط علمي هو نتيجة لدراسة استقرائية اولية للمواد والوقائع، اذ ان صياغة ابسط انواع المفاهيم لايمكن ان تتم الا بنتيجة انتقال المعرفة من بحث الوقائع الى التعميم، كما ان الاستقراء لايمكن ان يكون علميا حقا الا اذا استندت دراسة الظواهر المنفردة على معرفة قوانين التطور العامة . وليس بأمكان التجميع التجريبي للوقائع تقديم اية معرفة علمية دون اللجوء الى التعميم النظري.

المنهج النظمي:

التفكير النظمي او المنظومي systems يعني الأخذ في الحسبان بكل جوانب وحيثيات المشكلة او الموقف الظرفي بهدف فهم المنظومة بشكل متكامل والتكيّف مع سياقاتها Toffler,2022. او كما عرفه ريجموند بأنه علم وفن يربط البناء بالاداء لغرض تحسين وتطوير الأداء وتغيير البناء (Richmond,1993). لذلك فالتفكير النظمي هو نهج تفكيري مركّب متفتّح يعتمد ادراكا شاملا ووعيا نافذا نحو أبعاد وعمق وعناصر المشكلة قيد المواجهة من قبل المدير او القائد.

ويعدّ ذلك منهجا بحثيا مهما في الحقول المعرفية والعلمية التي تتخصص بدراسة الظواهر المعقدة والمتغيرات ذات العلاقات المتشابكة اذ هو اطار تحليل عام للظاهرة يختلف محتواه من حقل علمي الى آخر،كما انه مجموعة من المكونات التي تتفاعل لتحقيق الغاية المشتركة.ونظرية النظم تعتمد مدخلا تحليليا لتحديد الاجزاء من خلال المنظور الكلي وصولا لفهم افضل للنظام systemوتأخذ بالحساب العوامل والظروف البيئية المحيطة.بكلمة اخرى لايمكن فهم ودراسة شيء ما بحد ذاته منفردا او معزولا عن ارتباطاته وعلاقاته ضمن السياق المنضوي فيه(الجنابي،2017).

ويمثل المنهج النظمي Systematic approachمجموعة حلقات متداخلة متواصلة من المكونات او المنظومات الفرعية Sub-Systemالتي ترتبط ببعضها باطار خطة مرسومة لتحقيق هدف او اهداف محددة.كما ان الحاجة الى

هذا المنهج يبرز استنادا الى ان الكون كله محكوم بمنظومة System وهذه المنظومة تتضمن مجموعة من المنظومات الكبرى وكل منظومة كبيرة تتضمن اخرى اصغر منها وهكذا بشكل متسلسل،كما ان لكل منظومة مدخلات ومخرجات وتتفاعل داخلها عمليات،وتعمل المنظومة لتحقيق هدف او اهداف،فضلا عن القيام بعملية تو افق ذاتي – تعديل Adjusting من خلال التغذية الراجعة Feed-Back.

ويعدّ المنهج النظمي من افضل المناهج في تناول المشكلات ومعالجتها وحلها،وذلك راجع الى ان الظواهر الاجتماعية والاقتصادية ليست معزولة عن سياقاتها وظروفها اذ انها تتحرك وتتطور ضمن سياق حضاري بيئي متواصل بشكل عضوي . والنهج النظمي او المنظومي يمكن الباحث من معرفة العوامل المسببة ونتائجها المترابطة على اسس السبب والنتيجة و في تفاعلها من خلال علاقة المتغيرات ببعضها بشكل جدلي . ومن ابرز الاجراءات المتبعة في ذلك الآتي:

1. تحديد المشكلة ومواصفاتها وظروفها المحيطة سلبا او ايجابا ومداها الزمني ومن يمولها،وهل هي مزمنة ام طارئة وقتية.
2. تحديد المدخلات والمخرجات
3. تحديد وتعريف العمليات و برنامج العمل في المنظومة بالاهتمام باجراءات التشغيل والضبط والتحكّم في ضوء التغذية الراجعة F.B Feed-Back
4. القيام بتحليل المنظومة للتعرف على الخلل داخلها بتفكيكها الى مكوناتها وعناصرها الأولية ودراسة كل عنصر وعلاقته بالعناصر والمكونات الاخرى .

خاتمـة:

في ضوء ما تقدم يتبين اهمية منهج التحليل النظمي في اطار اعادة توليف و إنتاج المكونات والعناصر المفكّكة على وفق صيغ ابداعية منسقة وبمنظور كلي شامل يأخذ بنظر الاعتبار اشتراطات السياق الجاري ومتغيراته وعوامله البيئية الداخلية والخارجية المحيطة بالمنظومة والتي تفرض عليها المواكبة والتكيّف الدائم مع التحديات لغرض تحسين الأداء وتحقيق الاستدامة.

المصـادر

1. بدوي،عبد الرحمن (1977) مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات،الكويت
2. الجنابي،اكرم سالم(2017)الادارة الاستراتيجية وتحديات القرن الحادي والعشرين،دار امجد للنشر والتوزيع والطباعة،عمّان
3. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (1983) مختار الصحاح، دار الرسالة،الكويت
4. عبيدات،ذوقان،وعبدالحق،كايد،وعدس،عبدالرحمن(2020)البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه،دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان
5. لويس،جون (1973)،مدخل الى الفلسفة، دار الحقيقة،بيروت
6. الماجد،عبد الرزاق مسلم (1969)مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع،دار المكتبة العصرية،بيروت .
7. محمود،زكي نجيب محمود(1963)الموسوعة الفلسفية المختصرة، مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة

مصادر اجنبية

8-.Dewey, J. (1997). How we think. Courier Corporation

9-Oxford English Dictionary (1970) , London , Ely House

10-Richmond, B. (1993). Systems thinking: critical thinking skills for the 1990s and beyond. System dynamics review, 9(2), 113-.133

.11-Toffler, A. (2022). The third wave: The classic study of tomorrow. Bantam

.12-Van Dalen, D., & van Dalen, D. (1994). Logic and structure (Vol. 3). Berlin: Springer

13-Webster New World (1972) , u.s.a , The world Publishing